دائـــرة المعارف العربية فـــى علـــوم الكـــتب والمكتبات والمعلومات(*)

عرض

د.زين عبد الهادى

قسم المكتبات والمعلومات ـ آداب حلوان

تقديم:

الكتابة نوع من المغامرة المحفوفة بالمخاطر، فهى نوع من الكشف عن مكنون الصدر، وتعرية لما يحتويه العقل، وهذا الكشف وتلك التعرية قد تصادف هوى عند البعض، وقد لاتجد ما تبحث عنه عند البعض الآخر.

وإذا كانت الكتابة مغامرة، فكتابة موسوعة تعتبر نوعاً من السير فوق حبل مشدود، نصب فوق بركان، ويقينى دائما أن شعبان خليفة لا يتطلع أبداً لمن سيعارضه لأنه يعلم جيداً أنه له رصيداً كبيراً من المحبين والمريدين.

ترددت كثيراً قبل أن أكتب ناقداً ومقرظاً لهذا العمل الإبداعى الضخم،، ترددت لأنى أعلم ضعفى أمام القلم، وترددت لأنى أعلم أننى مهما كتبت فلن أفى هذا الرجل حقه، وترددت لأن أى حديث عن هذا العمل لن يستطيع الإلمام بكل جوانبه وخفاياه.

لشيخى الأستاذ الدكتور شعبان خليفة عشرات المؤلفات العملاقة انتظمت جميعها فى «عقد فريد» جديد، بهذا العمل الذى لا تقوم عليه إلاّ المؤسسات، ولكن لأن مؤسساتنا الثقافية منذ فجر (المطبعة) العربية تركت إعداد الأعمال العملاقة للأشخاص من الأفراد لعدم قدرتها على الإنفاق على هذه الأعمال تأليفاً وترجمة، أو لضعف الموروث الثقافى بأهمية الكتابة لديها، أو لضعف الوعى بأهمية هذه الأعمال، أو بالتردد والإحجام عن الإنفاق عليها خوفاً من حسابات العائد والتكلفة، ولكن أى عائد وأى تكلفة أمام أعمال سوف يخلدها التاريخ بحروف مقدسة.

ربما دفعنى للكتابة عن هذا العمل، أننى شاهدت شيخى أثناء كتابته لبعض المسودات الأولى ـ بالقلم الرصاص ـ فى بعض زياراتى له، وأطلعنى على بعض ما كتب وسألنى فيما ذهب إليه فى الكتابة، وكنت أرتعد من أسئلته لأننى لا أملك إجابة!.

كنت كطفل صغير يقف أمام هرم شامخ من العلم والثقافة والنبوغ، فماذا عساى أن أقول أو أجيب. وكان الرجل قلقاً لطبيعة علمية منهجية أصيلة فيه، فالعمل الإبداعى كالمخاض، يمتلئ بالألم والوساوس والنزيف قبل أن يخرج للناس ابناً يشرف أبه فخراً ومجداً.

علنى مهما كتبت لن أفى الرجل حقه، ففى خضم العواصف والأنواء التى أعلم أنها جرت عليه هذا العام، فإنه أخرج هذا العمل ليشرف به القلم المصرى فى حقل المكتبات والمعلومات والنشر، والكلمة بشكل عام.

ويقينى أيضاً أن هذه المغامرة كان لها طرف ثان يسير خلف شيخنا على نفس الحبل المشدود فوق البركان، ألا وهو الأستاذ/ محمد رشاد صاحب الدار المصرية اللبنانية التى سارعت إلى نشر هذا العمل

(*) شعبان عبد العزيز خليفة. دائرة المعارف العربية فى علوم الكتب والمكتبات والمعلومات ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨. ـ مج ١ ـ ٣.

العملاق، والذى أعلمه جيداً أن هذه الأعمال عالية التكلفة ليست يسيرة التوزيع، ولكنه حب المغامرة الثقافية الذى جمع الرجلان فقدما لنا هذا العمل الذى لا يستحق تقدير الأفراد فقط، وإنما سوف يكشف الوقت أنه يستحق تقدير الدولة.

هذه مقدمة كان لابد منها، ليحصل الرجلان على حقهما الأدبى، ولتكن شهادة أمام التاريخ، أما حقهما المادى فأنا أعلم جيداً أن لهما الله.

الدائرة:

لم يصدر من هذه الدائرة سوى ثلاثة مجلدات جميعها لم تبارح حرف الهمزة، ويقول شيخنا عنها، «أنه خطط لها أن تأتى فى نحو عشرة ألاف صفحة موزعة فى نحو خمسة عشر مجلداً، وتدور المواد التى تعالجها الدائرة حول ألفى مادة»

تصل الموضوعات فيها إلى ٦٠٪، والمؤسسات المكتبية إلى نحو ١٠٪ والمنظمات سواء الدولية أو الإقليمية أو الوطنية تصل فيها إلى نحو ١٠٪، وتبلغ مداخل الشخصيات هنا كذلك نحو ١٠٪، كما تدور مداخل المناطق الجغرافية حول ١٠٪[١]. وهو ما أرى أنه توزيع يراعى العدالة بين الموضوعات والكيانات المختلفة من مؤسسات وأفراد ودول. وإن كانت لى وقفة صغيرة هنا، فما أحسبها ستؤثر كثيراً، ولكنى أعلم أن لفظة «موسوعة» قد تكون أوفى فى التعبير عن المراجع المتخصصة منها من لفظة «دائرة المعارف»، والذى استنتجته مما قرأت أن شيخنا قد سأل واستقصى قبل أن يكتب، وهو يقول: «لقد نصحنى الخبراء ممن أثق فى نصحهم ألا أقيد نفسى بعدد معين من الصفحات لكل مادة حداً أدنى وأقصى، ولكنى أوفى كل مادة حقها بحيث تحقق الدائرة الهدف منها وهى إعطاء الخلفية الكاملة والأرضية التى ينطلق منها أى باحث فى بحثه، وهذا هو ما سعيت إليه فى هذا العمل وحاولت تحقيقه»[٢].

كما نلاحظ أيضاً أن العنوان مكون من خمسة مقاطع كالتالى:

المقطع ١ ـ دائرة المعارف
المقطع ٢ ـ العربية
المقطع ٣ ـ علوم الكتب
المقطع ٤ ـ المكتبات
المقطع ٥ ـ المعلومات

والمقطع الثانى لا أدرى إن كانت الموسوعة تنتسب فى هذه اللفظة «العربية» إلى العالم العربى، أم أنها صدرت فى العالم العربى، أو أن موادها تتميز بالخصوصية العربية، وقد يكون الأمر كل ذلك أو بعض منه، فهى عربية من حيث نسبها للكاتب والناشر، وهى عربية لأنها صدرت فى العالم العربى، وهى عربية لأنا تحتوى مواداً عن العالم العربى، ومع ذلك فهى تمتلئ بمواد عن العالم الغربى ربما لطبيعة علوم المكتبات والمعلومات فهى فى جلها علوم غربية، وهو ما أشار إليه الأستاذ الدكتور فتحى عبد الهادى ذات يوم، من أن الإبداع العربى فى مجال المكتبات والمعلومات لايتجاوز ٣٪ من مجموع ما نشر فى مجال المكتبات والمعلومات فى العالم العربى[١].

أما المقطع الثالث من العنوان فهو «علوم الكتب» وما أعلمه من شيخنا الأستاذ الدكتور شعبان خليفة هو أن لديه ولعاً قديماً بقضايا الكتب والببليوجرافيا والنشر، وربما لم يستطع أن يقاوم إغراء «علوم الكتب فى الدائرة»، وربما أراد أيضاً أن تتناول الدائرة كل ما يتعلق بطباعة ونشر وتاريخ الكتاب، وهو ما يمكن مقارنته بموسوعة Encyclo-pedia of library and Informatian science، حيث لم يرد فى عنوانها ما يشير إلى علوم الكتب وهو ما

(١) لقاء مع د. محمد فتحى عبد الهادى. فى ندوة «مستقبل مهنة المكتبات والمعلومات فى مصر» مكتبة مبارك، نوفمبر ١٩٩٨ ـ نظمها قسم المكتبات والمعلومات جامعة حلوان والجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات والأرشيف.

تعمده شيخنا فى أن يكون واضحاً فى عنوان الدائرة.

أما المقطعين الأخيرين فى العنوان فقد اهتما بعلوم المكتبات والمعلومات وهما الموضوع الأساسى لهذه الدائرة.

المجلد الأول: من آجى، سيميون - إلى - الأبجديات والخطوط.

يتناول المجلد الأول من هذه الدائرة (١١) إحدى عشر رأس موضوع، توزعت على الشخصيات (مقالتان)، وعلى المؤسسات (٤ مقالات) وعلى الموضوعات (مقالتان)، وعلى المؤلفات (مقال).

ويلاحظ الاهتمام الشديد لدى شيخنا بوضع قائمة بأهم المصادر والمراجع التى رجع إليها فى ذيل كل مقال.

ولعلى أكون ظالماً له وللقراء إذا استخدمت مصطلح مقال، إذ يمكن فرد بعض هذه المقالات فى كتب قائمة بذاتها، مع ملاحظتى لإلتزامه فى هذه المقالات منهجاً علمياً محدداً سلفاً، كما يلاحظ أن أغلب المراجع والمصادر التى رجع إليها تتسم بالحداثة، ويمكن القول بوجه عام بأن المجلد الأول يهتم اهتماماً فعالاً بالمكتبات فى أسيا، إضافة إلى مقال ضخم يقع فى أكثر من ١٦٠ صفحة عن الآلات الحاسبة وتطورها، أما المقال الذى احتل ربع المجلد فهو المقال المتعلق بالأبجديات والخطوط فى العالم وأعتقد أنه من المقالات التى تحتاج إلى قراءة متأنية لكم المعلومات الهائلة التى حشرها الدكتور شعبان خليفة به.

كما يلاحظ أيضاً الكشاف الهجائى لكلمات مفتاحية منتقاة يمكن الرجوع إليها للبحث عن معلومات بعينها يمكن أن تكون وردت فى ثنايا النص.

المجلد الثانى: أبدايك، دانييل - الاتحاد العربى

يحتوى هذا المجلد على (٢٣) ثلاث وعشرين مقالة فى حوالى ٦١٦ صفحة بمتوسط ٢٧ صفحة للموضوع الواحد، وإن كان المجلد بأكمله يحتوى على ١٦ مقالا عن اتحادات المكتبات فى العالم أى حوالى ٦٠٪ من محتويات المجلد إضافة إلى ٥ مقالات عن شخصيات عربية وأجنبية وتاريخية فى مجال المكتبات لعل منهم العلامة الأستاذ أبو الفتوح عودة، والأستاذ الدكتور أبو بكر محمد الهوش من الجماهيرية، إضافة إلى استعراض لمجلتين شهريتين فى عالم المكتبات إحداهما أميركية هى مجلة Library trends والثانية مصرية أنشأها شيخنا نفسه هى مجلة الاتجاهات الحديثة فى المكتبات والمعلومات. وربما تحتل المقالة التى كتبت عن المكتبات فى اتحاد الجمهورية السوفيتية (السابق) حوالى ثلث هذا المجلد ويزيد، تليها المقالة التى كتبها عن الاتحاد العربى للمكتبات والمعلومات (اعلم).

وأعتقد أن هذا المجلد يصلح كمنهج وحده لتدريس مقرر عن مؤسسات ومنظمات المكتبات واتحاداتها فى العالم.

المجلد الثالث: اتحاد المكتبات الأمريكية - الاتحادات الدولية للمكتبات والمعلومات

المجلد الثالث يكمل المجلد الثانى، فهو يضم ٢٢ اتحاد للمكتبات فى مختلف دول العالم سواء فى أمريكا أو بريطانيا أو الصين أو فنلندا أو الهند أو اليابان إلى آخر الدول التى تضم جمعيات واتحادات للمكتبات، مع إلتزام الدكتور شعبان خليفة بوضع المصادر والمراجع لكل مقال وفى ذات الوقت فإن هذا المجلد مع المجلد السابق يشكلان مرجعاً متخصصاً فى مؤسسات وجمعيات المكتبات على مستوى العالم.

ويحتل اتحاد المكتبات الأمريكية ما يقرب من نصف المجلد، وهذا ما يعترف به شيخنا فى نهاية مقدمة المجلد الثالث بقوله «وقد أفضت إفاضة بالغة فى اتحاد المكتبات الأمريكية، لأنه أولا: أول تحاد وطنى ظهر فى العالم وثانياً: لأن النموذج الذى احتذته الاتحادات الوطنية التى تلت» كما يشير أيضاً إلى أن كل الاتحادات التى وردت معلومات عنها فى المجلدين يكمل صورتها ما سيرد تحت مداخل «جمعية، وجمعيات» فى حرف الجيم بإذن الله.

ملاحظات تقييمية:

١ ـ يعتبر هذا العمل، هو العمل الأول من نوعه الذى يصدر بهذا الحجم فيما يتعلق بعلم المكتبات والمعلومات وتاريخ وصناعة الكتاب، أما ما قبله فكانت أقرب إلى مختصرات حقائق منها إلى الموسوعات فى مجال المكتبات والمعلومات.

٢ ـ أن الذى توفر على هذا العمل يعلم تمام العلم بأن هذا العمل يحتاج إلى فريق عمل، وإن كان قد سرد ما يكفى حول هذا الموضوع، لكننا لا نملك إلا ندعو له بأن يطيل الله فى عمره ويمتعه بالصحة والعافية حتى يستكمل هذا البناء الشامخ.

٣ ـ لم يكتب شيخنا سوى عبارة «توفر على هـذا العمل» قبل كتابة اسمه، لذا فهو يدرك أنه قام بالتأليف والإعداد والترجمة والتعريب والحذف والإضافة وكـل العمليات التى يمكن أن يقـوم بها فى مجال هندسة الكتابة والإبداع، وهو ما يحمد له.

٤ ـ أن مثل هذا العمل يحتاج إلى تشجيع الدولة حتى يمكن للمؤلف والناشر أن يتحملا عواقب تكلفة مثل هذا العمل، إضافة إلى إمكانية توزيعه على نطاق عريض.

٥ ـ أعتقد أنه على الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات، والاتحاد العربى للمكتبات، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والمؤسسات الثقافية المصرى بصفة عامة رعاية ودعم مثل هذه الأعمال لتشجيع أمثال ناشرنا لهذا العمل، حتى يمكن توفير مثل هذا العمل فى كل المكتبات وفى أيدى الأفراد المهتمين بهذا المجال.

لا يتبقى فى نهاية عرضى سوى أن أدعو الله أن تكتمل لآلئ هذا العقد وأن يهب الله الصحة وطول العمر لشيخى وأستاذى ومعلمى أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة.